الرسائل اللغوية في التراث العربي تنوع وشمول

Glossaries in the Arab heritage: Diversity and inclusion

يمينة مصطفاي [1]

[1] كلية الآداب واللغات،جامعة البويرة. y.mostfai@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/04 تاريخ القبول: 2021/10/30 تاريخ النشر: 2021/12/23

ملخص :

إنّ تأليف الرسائل اللغوية أوالمعاجم من أجلّ الأعمال اللغوية في التراث العربي، وقد جمعت بين طياتها المفردات ومعانيها، بالإضافة إلى علوم مختلفة كعلم الأصوات والصرف والنحو والبلاغة، والدلالة بالإضافة لعلوم القرآن المختلفة كالفقه، والتجويد والقراءات القرآنية، وحتى علوم غير لغوية كالجغرافيا والفلك والطب والنبات وغيرها.

وقد كانت الرسائل اللغوية الإفرادية صورة فريدة في جمع المفردات المرتبطة باللغة، الإنسان، الحياة، والكون عامة، الإنسان، الحياة، والكون عامة، وفي إشارة بسيطة نعرض لأهم موضوعاتها والتي سنحاول التركيز على بعض منها،وهي التي تعتبر أساسا نواة المعجم العربي بنوعيه العام والمختص.

كلمات مفتاحية : المفردة، الرسائل اللغوية ، المعجم العربي، التراث العربي .

Abstract

The compilation of linguistic dictionaries is an important works in the Arab heritage , which have combined vocabulary and meanings. In addition to various sciences such as phonology, morphology, grammar, and semantics, in addition to the various sciences of the Qur'an such as jurisprudence, intonation and Qur'anic readings, and even non-linguistic sciences such as geography, astronomy, medicine,and others.

المؤلف المرسل: يمينة مصطفاوي

The glossaries were a unique image in collecting vocabulary related to language, man, life, and the universe in general, and in a simple reference we present its most important topics, which we will try to focus on some of them, which are considered the core of the Arabic linguistic lexicon in its general and specialized types.

Keywords :The vocabulary, the glossaries, the Arab dictionnary .the Arab heritage.

1.مقدّمة:

إن الحديث عن التأليف المعجمي في التراث العربي يقودنا إلى الحديث عن الرسائل الأولى التي وضعها العرب، والتي كانت متصلة مباشرة بالقرآن الكريم، فتعدد قراءات القرآن الكريم نتيجة تعدد لهجاته كان من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور نوع من الألفاظ اصطلح عليه اسم " الغريب" استغلق فهمها على العرب أنفسهم، مما أدى إلى ظهور ما يسمى بكتب الغريب، أو الرسائل اللغوية في غريب القرآن، تحاول تفسير وشرح المفردات الغامضة فيه.

ثم انتقل الاهتمام بعدها باللّغة ككل، حيث كان العرب يقومون بجمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد (...)،(في موضوعات لغوية وغير لغوية) "،(أحمد أمين،2005،ص449) وهي ما يطلق عليه الرسائل المفردة أو الرسائل اللغوية ،والتي من ضمنها كتب غريب القرآن والحديث، التي اسمرت مع مرحلة المعجم الشامل حتى وقت بعيد جدا.

ولعلنا نتساءل لماذا ظهر هذا النوع من التأليف في اللغة العربية ،ماهي دوافعه ؟ وما هي موضوعات الرّسائل اللّغوية ؟وما علاقتها بالمعاجم العربية قديما سواء العامة أو المختصة ؟والسؤال الأهم ما هو بناء هذه الرسائل ؟

هذه الأسئلة وغيرها هي مدار هذا البحث الذي نحاول فيه الإجابة عليها .

2.الرسائل اللغوية وشموليتها لكل المواضيع :

لقد كانت الرسائل اللغوية الإفرادية صورة فريدة في حمل وجمع المفردات المرتبطة باللغة، الإنسان، الحياة، والكون عامة، وفي إشارة بسيطة نعرض لأهم موضوعاتها والتي سنحاول التركيز على بعض منها، مما

نجد من غرض البحث، وهو بيان بناء هذه الرسائل التي تعتبر أساسا نواة المعجم اللغوي العربي بنوعيه العام والخاص .

لقد شملت هذه الرسائل موضوعات متعددة ومتنوعة، وقد حاولت أن أجمع بين المشترك والمتقارب منها، ونجد عند حسين نصار والشرقاوي تصنيفات مختلفة حاولت أن أستخرج منها التصنيف الآتي :

1.2:الكتب المتصلة بالقرآن والحديث:

وتجدر الإشارة إلى أن" العناية بغريب هذين المصدرين الهامين (القرآن والحديث) كان المقدمة للعناية بسائر اللغة شعرا ونثرا. (عبد السميع محمد احمد ،1969،ص13)

1.1.2.غريب القرآن:

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وهو اللسان الذي يجمع كل اللهجات العربية السائدة في ذلك الوقت، ويمكننا القول إن بداية التأليف في هذا المجال كانت مباشرة مع وبعد وفاة المصدر الأول الشارح لتلك المفردات الغريبة في القرآن، وهو النّبي صلّى الله عليه وسلّم،بالإضافة إلى تلك المواقف بين الصحابة فيما بينهم، وبين العامة من الناس"،.(أحمد الشرقاوي إقبال،1993،ص5) .ولعل أشهر وأقوى هذه المواقف ما يعرف بمساءلات "نافع بن الأزرق" لعبد الله بن عباس، التي تعتبر بحق البذرة الأولى لظهور الرسائل اللغوية، والتي كانت تحمل اللّفظ ومدلوله والشّاهد عليه، وهي أولى المؤلفات في غريب القرآن الكريم، يقول حسين نصار:"وقد كانت هذه المحاورة الثرية والتي عرفت في التاريخ الفكري واللغوي باسمً سؤالات نافع بن الأزرقٌ إحدى المقدمات الطبيعية لنشأة علم تفسير القرآن،كما كانت من بين المادة التي قدمها السّلف لتفسير النشأة الأولى للمعجم العربي (...) وتعتبر الحركة العلمية الأولى عند المسلمين. (حسين نصار،1998،ص 26).

ومن أشهر المؤلفات نجد "غريب القرآن" لعبد الله بن عباس(ت 68هـ)، مساءلات نافع بن الأزرق (في غريب القرآن) ،وغريب القرآن لأبي سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري، (ت141هـ)، وغريبي ابن عباس وأبي سعيد وغريب ابن قتيبة (ت276هـ) وغيرهم .

ومن الكتب القديمة المشهورة في هذا المجال كتاب أبي بكر محمد بن عزيز بن أحمد السجستاني(ت330هـ)المسمى "غريب القرآن« . (حسين نصار،1998،ص26).

2.1.2.**غريب الحديث**:يراد بغريب الحديث مثل ما أريد بغريب القرآن(...) وقد تكلّم الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بالكثير من الأقوال في التشريع والمواعظ والآداب،وانتهى إلينا غير قليل من أقواله مضافا إليه

أقوال صحابته وتابعيهم، وفي كلّ ذلك غريب اهتم به اللغويون فدونوا فيه معاجم. (أحمد الشرقاوي إقبال،1993،ص23).

ويقال إن أول من ارتاد الطريق وصنف في غريب الحديث هو أبو عبيدة معمر بن مثنى التيمي (ت210هـ)، وقد ذكر الشرقاوي في معجمه ما يقارب سبعين كتابا في غريب الحديث، ولم يورد كتاب أبي عبيدة في الأول بل ذكر قبله أربعة كتب أولها غريب الحديث لأبي عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى بن شمعون السلمي من أهل القرن الهجري الثاني، وغريب الحديث لأبي الحسن النضر بن سهيل المازني (ت204هـ)، ولأبي علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت206هـ)، ورابعها لأبي زكريا يحي بن زياد بن عبد الله الديلمي الملقب بالفراء (ت207هـ). (أحمد الشرقاوي إقبال،1993،ص26).

على كلّ فإن التأليف في غريب الحديث قد تأخر عن التأليف في غريب القرآن، ربما كان ذلك بسبب تأخّر تدوين الحديث الشريف والانشغال بكتابة القرآن أكثر منه، فكان التأليف في غريبه في نهاية القرن الثالث تقريبا، ونجد في كتاب حسين نصار تفصيلات عما يزيد عن عشرة كتب في غريب الحديث، مبينا منهجها في التأليف.ولعلّ أشهرها "الفائق في غريب الحديث" لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري (ت538هـ)، وفعلا قد فاق كتب الحديث مادة فقد كان " أغزر كتب الحديث مادة لغوية حتى عصره. (حسين نصار ،1998،ص49).

و"النهاية في غريب الحديث والأثر" والذي انتهى فيه ابن الأثير (ت 606هـ) إلى حصاد طيب في شرح غريب الحديث، واعتمد كثيرا في كتابه على كتاب غريب القرآن والحديث للهروي، وكتاب " المغيث في غريب القرآن والحديث "لأبي موسى محمد بن أبي بكر المديني، ولا يعرف أحد صنف في غريب الحديث بعد ابن الأثير سوى ابن الحاجب (ت646هـ)، وانحصرت الجهود بعد ذلك في التذليل على النهاية واختصارها. (مناع القطان ،1996،ص79).

2.2.رسائل في اللغات والنوادر :

1.2.2. اللغات عند العرب:

كان العرب يعيشون في شبه الجزيرة العربية، ويتوزعون فيها على قبائل مختلفة في لغاتها، و"هذا الخلاف قد يكون خلاف كلمات، (...) وقد تكون الكلمة واحدة لكن القبائل تستعملها في معان مختلفة، كمادة الوثب، فالحجازيون يستعملونها في معنى ظفر، واليمانيون يستعملونها استعمالا مضادا فيقولون ثب أي أقعد"، (أحمد أمين ،2005 ،ص436) وقد تكون الاختلافات في الجانب الصوتي فمنهم

من يفتح ومنهم من يكسر وآخر يميل،ومنهم من يبدل بعض الحروف ببعض(عن أن) وغيرها، مما نجده منتشرا في كتب القراءات القرآنية، مع اجتماع كل هذه اللغات في لغة واحدة هي اللسان العربي المبين.

وعليه فإن التأليف في هذا الميدان (اللّغات) كان في وقت مبكّر جدا، كما هو الحال مع غريب القرآن وذلك لارتباطه الشديد بالقرآن الكريم، فكان المنطلق الأول، ليتوسع البحث ويشمل اللغة ككل، فظهرت مؤلفات تحمل العناوين الآتية:

1- لغات القرآن. 2- لغات القبائل.

1.لغات القرآن:

غرست بذوره على يد ابن عباس في رسالة بعنوان: "كتاب اللغات في القرآن" (...)، والترتيب المتّبع في الكتاب هو ترتيب المصحف، إذ يستخرج من كل سورة ما فيها من لغات، بترتيبها في المصحف(...)، أمّا طريقة العلاج فتقديم الآية التي فيها اللفظ ثم تفسيره ثم التنبيه على لغته (...)، وليس في الكتاب أي شاهد (...)، وتلقّف المفسّرون واللغويون هذا التصنيف من ابن عباس وأقاموا على مثاله بعض دراساتهم فألفوا فيه مجموعة كبيرة من الكتب حاملة لهذا العنوان" لغات القرآن" أو "اللغات في القرآن". (حسين نصار،1998،ص60).

2. لغات القبائل:

لقد توسّع البحث في اللّغات، وانتقل من القرآن الكريم إلى اللغات ككل، ولعل الاختلاف في اللغات لا يخرج عما حدده ابن فارس حيث يقول: "اختلاف لغات القبائل من وجوه"، (أحمد بن فارس،الصاحبي في اللغة،ص19) .وذكر ما يقارب خمسة عشر اختلافا ويمكن إجمالها في موضوعات الإبدال الصوتي (حركات، حروف)،والهمز واللين والقلب المكاني والحذف والإثبات والإمالة والتفخيم والتذكير والتأنيث والإدغام والجمع وغيرها.

وأول من ينسب إليه كتاب في اللغات هو يونس بن حبيب البصري (ت 182هـ)، ثم "اللغات" لأبي زكريا يحي بن زياد بن عبد الله الديلمي المعروف بالفراء (ت207هـ)، و"اللغات"لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ)، و"اللغات" لأبي زيد الأنصاري (ت215هـ)، وللأصمعي (ت216هـ)، ولأبي بكر الأزدي(ت321هـ) وغيرهم.

2.2.2.رسائل في النوادر:

كانت تعالج بعض اللغات غير اللّغة المعروفة، فهي أقرب ما تكون من كتب اللغات، بل ليس من الممكن التفرقة بينهما في أكثر الأحوال"،(حسين نصار،1998،ص118)." فهذا الصنف من المعاجم يحشوه مؤلّفوه بالمواد اللغوية من هنا وهناك (...) وهم يودعونه في الغالب ما يندرج تحت اسم اللهجات من شاذ اللغات وغريب الكلم ونادر الألفاظ مما لا يعرفه الكثير من الناس، (أحمد الشرقاوي،1993،ص53)، ولم تتطور هذه الكتب في منهجها فبقيت متمسكة بالصورة الأولى التي ظهرت عليها للمرة الأولى، وإنما كان تطورها في موادها بالكثرة والتضخم. (حسين نصار،1998،ص56)، ويذكر الشرقاوي في معجمه ما يزيد عن خمسة وأربعين كتابا تحمل كلها عنوان "النوادر" وذكر كتب أخرى تبدو بنفس المضمون منها: " الكلام الوحشي" للأصمعي و"شاذ اللغة" لابن سيده وغيرها، (أحمد الشرقاوي إقبال،1993،ص62).

3.2.رسائل في الموضوعات الصوتية:

هي الرسائل التي درست أصوات اللغة منفردة أو في السياق وما يعرض لها من قلب أو إبدال أو إعلال أو غير ذلك، فتنوعت لذلك عناوينها ونجد منها ما يأتي:

1.3.2.**الهمز:**

وجد لهذا الصوت صورتان نطقيتان، الأولى التحقيق، أي نطق الصوت بوضوح وترجع إلى لهجة تميم، والأخرى التسهيل أي عدم نطقه وإطالة صوت اللين قبله وترجع إلى لهجة الحجاز، ولم يمثل ذلك الخلاف مشكلة لدى القدماء، غير أنه برز حين قرأ بعض الناس ألفاظا مهموزة أو غير مهموزة في القرآن الكريم، على نحو لم يقبله القراء (...)، وحققت الهمز في ألفاظ لم يسمع فيها التحقيق وسهلت في ألفاظ لم يسمع فيها التسهيل.(سعيد حسن بحيرى،2000،ص40).

"يعد التأليف في الهمز أوّل ما ظهر من العناية ببحث علم الأصوات عند العرب، لاتصاله –على ما يبدو– بعنايتهم بالقراءات القرآنية"، (محمد حسين آل ياسين،2005،ص189)، حيث وجد لهذا الصوت صورتان نطقيتان، الأولى التحقيق، أي نطق الصوت بوضوح وترجع إلى لهجة تميم، والأخرى التسهيل أي عدم نطقه وإطالة صوت اللين قبله وترجع إلى لهجة الحجاز، ولم يمثل ذلك الخلاف مشكلة لدى القدماء، غير أنه برز حين قرأ بعض الناس ألفاظا مهموزة أو غير مهموزة في القرآن الكريم،على نحو لم يقبله القراء(...)،وحققت الهمز في ألفاظ لم يسمع فيها التحقيق وسهّلت في ألفاظ لم يسمع فيها التسهيل. (سعيد حسن بحيرى،2000،ص40).

2.3.2. الأصوات:

لا يقصد بها الأصوات اللغوية فقط، يقول الشرقاوي: "هذا صنف من المعاجم حشاه مؤلّفوه بنعوت الكلام بيانا ونوعا، وذكروا فيه درجات الصوت جهارة وخفوتا، وجاءوا فيه بعيوب النطق وأمراض الكلام، وأتوا فيه بالكلم التي تسمي أصوات الضحك والغناء والتوجع". (أحمد الشرقاوي إقبال،1993،ص156). وقد قدم قائمة بكتب تناولت الأصوات مستقلة، كما قدم كتبا شغلت فيها الأصوات بعض الأبواب، ولعل أهمها كتاب "الأصوات" لأبي على محمد بن المستنير المعروف بقطرب(ت206هـ)، وكتاب "الأصوات" لأبي الحسن سعيد بن مسعده الأخفش الأوسط (ت211هـ) وللأصمعي ولابن السكيت،وغيرها. (أحمد الشرقاوي إقبال،1993،ص156).

3.3.2. الإبدال:

المقصود به هو الإبدال الصوتي وليس الصرفي، وهو إبدال صوت مكان صوت، ويكون بين صحيحين أو علّين أو صحيح وعلة، إما بالقلب أو بالحذف أو التسكين، وظهرت فيه رسائل كثيرة لا تعالج موضوعات صوتية فحسب، بل تعالج أيضا ظواهر عرفتها اللّهجات العربية القديمة وقد جمعها الشرقاوي في معجمه بعنوان "مجموعة القلب والإبدال وما اشتبه في كيفية نطقه أو صورة لفظه"، وهي معاجم تقوم في أساسها على أصوات الحروف، وما يعتريها من قلب وإبدال وإعلال وتعاقب". (أحمد الشرقاوي إقبال،1993،ص164).

4.3.2.الضاد والظاء:

يقال لغة الضاد ليس لسبب سوى لانفراد هذا الصوت بكونه في اللغة العربية دون سائر اللّغات، يقول ابن جني:"واعلم أن الضاد للعرب خاصة، ولا يوجد في كلام العجم إلا في القليل"، (أبو الفتح عثمان بن جني،1985،ج1،ص214)"ومثله ما رآه المستشرق برجستراسر في كتابه "التطور النحوي للغة العربية" حيث قال: "" الضاد العتيقة حرف غريب جدا، غير موجود – حسب ما أعرف – في لغة من اللغات إلا العربية"، ونسب للرّسول صلّى الله عليه وسلّم، أنه قال: "أنا أفصح من نطق بالضاد" ولم يصحح ذلك أهل الحديث"، (أحمد الشرقاوي إقبال،1993،ص167).وهي غير الضاد التي ننطق بها اليوم، يقول ابن الجزري:"والضاد انفرد بالاستطالة وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله، فإن ألسنة الناس فيه مختلفة وقلّ من يحسنه، فمنهم من يخرجه ظاء ومن يمزجه بالذال ومنهم من يجعله لاما مفخمة ومنهم من يشمه الزاي، وكل ذلك لا يجوز...". (أبو الحسن محمد بن الجزري، دت،ج1،ص219).

إذن نظرا لما في هذا الصوت من تميّز (صعوبة في النطق) فقد أفرد مثل الهمز بالاهتمام والدراسة، وألفت فيه كتب تفوق الخمسين، من بينها نذكر كتاب "الضاد والظاء" لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الؤلوي (ت318هـ) وكتاب "الفرق بين الضاد والظاء" لأبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد الملقب بغلام ثعلب (ت345هـ) وغيرها.

ويلاحظ أن التأليف في هذين الصوتين قد تأخر ولم يبدأ حتى بدايات القرن الرابع الهجري، ولعله لكونه مرتبط أشد الارتباط بعلم الأصوات الذي عرف تطوره الكبير في القرن الرابع الهجري مع ابن جني وغيره.

5.3.2. الحروف:

أول من ينسب له كتاب في الحروف الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، رغم أنه من العلماء من يشك في نسبته إليه، (محمد حسين آل ياسين،2005،ص192). ونذكر كتابا منسوبا للنضر بن شميل في الحروف حققه لويس شيخو اليسوعي(...)بعنوان "رسالة في الحروف العربية" منسوبة إلى النضر بن شميل(...)ومادة الرسالة تشير إلى قدم تأليفها، وهي تحوي مادة في عمومها نحوية تتحدث عن معاني الحروف من ذلك قوله:"الباء على خمسة أوجه: باء الأصل مثل باء كتب وضرب، وباء الوصل كقولك مر زيد بعمر، وباء البدل عن الميم نحو سبد رأسه معناه سمد رأسه،باء القسم نحو بالله..."، (محمد حسين آل يسين ،2005،ص193).فالحروف هنا لا علاقة لها بالجانب الصوتي إنما هو مجرد تناول لها مفردة وشرحها نحويا والتمثيل عليها،فهي تدخل في قائمة المؤلفات النحوية وإن ظهرت على شكل رسالة لغوية.

6.3.2.الوقف والابتداء:

هو من مباحث علم الأصوات مرتبط ارتباطا شديدا بقراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة، وعليه فإنه من الضروري القول بان بداية التأليف فيه كانت في وقت مبكر جدا يقول السيوطي:"أفرده بالتصنيف خلائق منهم أبو جعفر النحاس وابن الانباري والزجاجي والداني العماني والسجاوندي وغيرهم، وهو فن جليل به يعرف كيفية أداء القراءة" (جلال الدين عبد الرحمن السيوطي،دت،ج1،ص83).وهو من المباحث الصوتية الدلالية ذات أهمية كبيرة في قراءة القرآن الكريم. ويضاف لهذا الموضوع الوقف والابتداء موضوعات أخرى تتصل بظواهر صوتية مختلفة لا تدخل ضمن دائرة المعجم مثل الإدغام والإظهار والإخفاء والإمالة

والفتح وغيرها من المباحث الصوتية المبثوثة في كتب القراءات القرآنية، و المرتبطة أساسا بالقراءات القرآنية وعلم التجويد.

ويضاف إلى هذه المجوعة نوع آخر من الموضوعات الصوتية والمتعلقة بأعضاء الجهاز النطقي لدى الإنسان بالتفاصيل الكثيرة، وإن لم يكن التأليف فيها مخصوصا بكتب أو رسائل مفردة، وهي موجودة بقوة خاصة في الرسائل اللغوية التي تحمل عنوان خلق الإنسان مثل:"خلق الإنسان" لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت الكوفي المتوفى على التقريب سنة 250هـ، وقد جمع فيه معظم ما كتبه السابقون، وقد اعتمد عليه اللاحقون كابن سيده في مخصصه". (الشرقاوي،ص95).

بعد هذا العرض نلاحظ أنّ علماء العربية قد ألّفوا في فرعي الدراسة الصوتية: الفونيتيك والفونولوجيا ففي الفرع الأول مثل الضاد والظاء والهمز منفردين وفي الفرع الثاني الوقف والابتداء والقلب والإبدال وغيرها.

4.2.رسائل في علم الصرف:

لقد كانت هذه الرسائل شأنها شأن الرسائل السابقة، يبدأ التأليف فيها في موضوع بعينه ثم يتوسع حتى يجمع شتات ما شاركه في الموضوع العام، أشمل من حيث المادة، ومن جانب المنهج والنظام العام أكمل ما يمكن أن يصلوا إليه،ولعلّ أوّل من يشارك المؤلفين في هذا النمط من المواضيع النحاة الذين أفاضوا في دراستها وتحليلها أمثال سيبويه في كتابه " الكتاب" وغيره.

1.4.2.المصادر:تنوعت كتب المصادر بين مجالين اثنين خاص وعام، المصادر في القرآن والمصادر في اللغة.

يذكر ابن النديم في الفهرست والقفطي في إنباء الرواة والسيوطي في بغية الوعاه وياقوت في معجم الأدباء، يذكر كل هؤلاء مجموعة من المؤلفين ولعل أول كتاب "وصل إلينا اسمه هو من تأليف اللغوي المعروف علي بن حمزة الكسائي (189هـ تقريبا) ثم توالت كتب المصادر من اللغويين الذين ماتوا في القرن الثالث وأولهم النضر بن شميل والفراء وخص كتابه بالمصادر في القرآن وحده، (حسين نصار،ص143) وغيرهما. واختلفوا في كثافة المادة والترتيب والتنظيم وعنوا ببيان المصادر من الثلاثي ومن غير الثلاثي والمصادر القياسية والسماعية والميمية وغيرها" (سعيد حسن بحيرى،2000،ص42).

ومنهم من ألف في نوع خاص من المصادر مثل ما فعله الصاغاني (ت 650هـ) " فلم يعن بها كلها وإنما عني بنوع خاص منها، هو ما كان على صيغة "فعلان" فاستقصى هذا النوع وأورده في كتابه المسمى " نقعة الصديان فيما جاء على وزن فعلان"، (حسين نصار،ج1،ص145).ويذكر حسين نصار في كتابه مجموعة من المؤلفين بداية من القرن الثالث وصولا إلى القرن الثامن، كما يذكر الشرقاوي في معجمه حوالي خمسة عشر كتابا في المصادر منها في القرآن وفي غير القرآن.(الشرقاوي،ص255). واختلفوا في كثافة المادة والترتيب والتنظيم وعنوا ببيان المصادر من الثلاثي ومن غير الثلاثي والمصادر القياسية والسماعية والميمية... وغيرها". (سعيد حسن بحيرى ،2000،ص42).

2.4.2.الأفعال:

أيضا عرفت نوعين من التصانيف منها المؤلفة في نوع خاص من الأفعال ومنها المؤلفة في الأفعال العامة.

أ. الصيغ الخاصة من الأفعال:

"كانت كتبه الأولى تعالج صيغتي فعل وأفعل"، وتتناول هاتين الصيغتين من الفعل الواحد حين تتفقان في المعنى أو تختلفان أو لا يرد للعرب إلا إحداها. (حسين نصار،ج1،ص145).

وأول من روي أنه ألف فيه قطرب والفراء ثم أبو عبيدة والأصمعي وأبو زيد الأنصاري وغيرهم كثيرون موزعون على مدى القرون حتى القرن السابع مع "بغية الآمال بمعرفة النطق لجميع مستقبلات الأفعال" لأبي جعفر أحمد بن يوسف بن علي الفهري الليلي(ت691هـ)،(الشرقاوي ،ص261).مرورا بالزجاج وبابن القويطبة (ت367هـ) والصاغاني(650 هـ) الذي اتجه في الأفعال اتجاها خاصا شبيها باتجاهه في المصادر، فتناول بعض الصيغ بالبحث فأفرد كتابا لافتعل وآخر لانفعل. (حسين نصار،ج1،ص147).

4-2-2- عامة الأفعال: تجاذب كتب الأفعال عامة نوعان من التأليف،التأليف المختلط والتأليف الخاص، وقد بدأ التأليف فيها في المعاجم الكبيرة، كما هو الحال عند أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي في الغريب المصنف، وابن السكيت في الألفاظ وابن قتيبة وآخرهم ابن سيده وكلها لم تخصص نوعا معينا من الأفعال وتوسعت في علاجها والاستشهاد عليها.

ونجد أيضا المؤلفات الخاصة بها فقط أشهرها: كتاب الأفعال لأبي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف باب القوطية (ت 367هـ)، وكتاب الأفعال لأبي مروان عبد الملك بن طريف الأندلسي (ت 400هـ)، وكتاب الأفعال لأبي عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي (ت 400هـ)، وأبنية الأفعال لأبي منصور محمد بن على بن عمر الخبان (الذي كان حيا سنة 416 هـ) وكتاب الأفعال لأبي القاسم علي بن جعفر بن على الصقلي المعروف بابن القطاع (ت 515هـ) لنصل إلى "فصل المقال في أبنية الأفعال"لأبي عبد الله محمد بن يحي بن هشام الخزرجي الخضراوي الشهير باب البرذعي(ت646هـ). (حسين نصار،ص151).

3.4.2. أبنية الأسماء:

تأخّر التأليف في أبنية ، وقد يعلل سبق التأليف في أبنية الأفعال بالحاجة إلى استعمال الأفعال المجردة في أبواب المعاجم، ذلك أن الأفعال تمثل الأصول أو الجذور ، التي كانت مفاتيح الإفادة من المعاجم والمنطلق إلى تقصي المشتقات، وقد يعلل ذلك السبق باللجوء إلى علم الصرف واتخاذه ميزانا لضبط الأبنية، إذ إن الصرف يقدم الأصول الموثقة، أو يقدم الجوهر مخلصا من شوائب الزيادات والإعلال والحذف والإبدال، وبذلك يمكن فرز الأبنية ثم الانطلاق إلى البحث عن المعاني أو الدلالات اللغوية. (مسعود بوبو،1999،ص57).

كذلك يمكن أن نورد من أسباب سبق التأليف في الأفعال بالعودة إلى بداية ظهور هذا النوع من التأليف التي ترجع بذوره الأولى إلى كتب النحو والصرف كما ذكرنا سابقا، ولعل اهتمام النحاة والصرفيين قد بدأ في النحوبالفعل قبل الاسم، بالإضافة إلى أن الأفعال أكثر جريانا على الألسن من الأسماء.

وتتضمن هذه الرسائل الموضوعات المتصلة بالمقصور والممدود وبالمذكر والمؤنث (الجنس) وبالمفرد والمثنى والجمع (العدد).

5.2 رسائل حول الإنسان والعالم الخارجي

1.5.2. الإنسان والحيوان:

لقد كان للإنسان والحيوان حظ كبير من الاهتمام بالدراسة وعرض أجناسه وأسمائه وصفاته وأعضائه وأصواته ولباسه، وكل ما يتعلّق بهما من قبل اللغويين، فألف في خلق الإنسان خاصة، وفي الخيل والإبل نظرا لعلاقتهما الوطيدة بالإنسان العربي سلما وحربا،وقد تنوعت مؤلفاتهم فيهما،يقول حسين

نصار:"هذا النوع من التصنيف بدأ قبل عصر الخليل وسرعان ما وصل إلى نظامه الأمثل عند الأصمعي فلم يستطع من بعده أن يتحرروا منه، إنما اقتصروا على تكميله، وكانت مادة الأصمعي خميرة لما بعده من كتب حتى المخصص، والأصمعي هو المعلم الأول فيه، ثم أبو عبيد ثم قمته ثابت بن أبي ثابت،وابن سيده في المادة واكتمال النظام". (حسين نصار،1998،ص108).

2.5.2. الحشرات والوحوش:

إن مصطلح الحشرات ليس بنفس المعنى العلمي لها اليوم، بل تشمل كل دواب الأرض تقريبا عدا الخيل والإبل والحيوانات كالسباع والفيلة والغزلان وغيرها،

يقول حسين نصار:" وتناول اللغويون تحت هذا الاسم الحشرات والزواحف والهوام والثعلب والهر والأرنب وغيرها"، و"أول من ألف فيها أبو خيرة الأعرابي ثم أبو عمر الشيباني، ثم تبعهما اللغويون، ولم تكن مواد هذه الكتب مرتبة ترتيبا معينا... ولم يبق أي كتاب مستقل فيها وإنما بقيت الموسوعات التي تعرضت لها في بعض فصولها مثل الغريب المصنف لأبي عبيد وأدب الكاتب لابن قتيبة ومبادئ اللغة للخطيب الإسكافي (...) وكفاية المتحفظ لابن الأجدابي(ت600هـ). (حسين نصار،ج1،ص101،100).

على العموم كان التأليف في الحيوان منفردا مستقلا (الرسائل اللغوية المفردة) وضمن الموسوعات (معاجم الموضوعات) .

بالإضافة إلى المؤلفات حول **الوحوش** " وقد ألف اللغويون في الوحش معاجم تصف خلقها وتذكر أسماء ذكورها وإناثها وصغارها وتسمى أوطانها و(...) وأصواتها، وتذكر كيف تتقلب في معايشها وسائر شؤونها"،(الشرقاوي،ص107). وأول من ينسب إليه كتاب في الوحوش هو أبو محمد بن المستنير الملقب بقطرب (ت206هـ) بعنوان "كتاب ما خالف فيه الإنسان البهيمة في أسماء الوحوش وصفاتها"، (آل ياسين،ص212) وكتاب آخر في الموضوع نفسه وهو بعنوان: " أسماء الوحوش وصفاتها" للأصمعي، فاق فيه قطرب من حيث المادة فهو أوسع ومن حيث الشواهد فقد أكثر منها قصيدا ورجزا.و"من حيث مواد الكتاب فهي أوسع من مواد قطرب ففيه إضافات في أسماء الوحوش بالإضافة إلى نفس قائمة الوحوش عند قطرب وبنفس التسلسل المذكور سابقا، وفي صفاتها وطباعها و... وأسماء أولادها وأصواتها وكل ما

يتعلق بها، وفيه ما درج الأصمعي من استطراد وشرح غريب واهتمام بالتصريف وتعليق على الألفاظ والشواهد." (آل ياسين،ص214).

وكلا الكتابين هما ضمن الرسائل اللغوية التي تعتمد ترتيبا معينا مما يصعب طريقة البحث فيها.

والملاحظ أن مجموعة الحيوانات المدرجة في قائمة الوحوش ليست متوحشة بالمعنى الحديث، وربما لم تكن من الدواب المستعملة اجتماعيا مثل الحمار الوحشي، البقر الوحشي (حسب ابن منظور و ح ش)بالإضافة إلى هذا تختلف تسميتها و تبقى دائما في دائرة الحيوان.

6.2.رسائل في موضوعات فقه اللغة:

هي تلك الكتب المفردة في موضوعات تدخل في دائرة فقه اللغة، كالاشتقاق والأضداد والمعرب وغيرها، ولعل أشهرها كان في الاشتقاق وفي الأضداد.

1.6.2.الاشتقاق:

حظي الاشتقاق بعناية اللّغويين منذ وقت مبكّر، فقد دعت الحاجة إلى معرفته مع بداية التأليف في النحو وعلوم العربية، لما له من ارتباط بأصول الكلمات ومعانيها وأحوال تركيبها وما سوى ذلك، كما دعت الحاجة إليه لمعرفة معاني الأسماء التي نقلها الناس عن العرب وجهلوا أصولها، (أحمد محمد قدور،2003،ص202).لذلك اهتم المتقدمون بتتبع اشتقاق الأسماء لكشف معانيها على وجه دقيق ،ومن أشهر ما ألف فيه "الاشتقاق" لأبي بكر محمد بن السراج(ت316هـ)،(حمودي زين الدين المشهداني،،1980،ص91).وكتاب" الاشتقاق" لابن دريد .

2.6.2.الأضداد أو التضاد:

هو نوع من أنواع المشترك اللفظي "وهو ما يقابل الترادف وذلك بأن يكون للكلمة الواحدة عدة معان تطلق على كل منها على طريقة الحقيقة لا المجاز". (علي عبد الواحد وافي،1997،ص145)." ويرجع اهتمام اللغويين بهذه الظاهرة كما يبدو إلى ورود بعض الأضداد في القرآن الكريم، فقد سعى المفسّرون واللغويون إلى توضيح مقاصد الأضداد لمن لا يعرف أسرار لغة العرب، كما أرادوا بذلك الرد على الشعوبيين الذين كانوا يرمون العرب بكل نقيصة".(أحمد محمد قدور،2003،ص287) وأشهر ما ألّف فيه "الأضداد" لابن الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد(ت327هـ) .

7.2.رسائل في النبات والبلدان والأمكنة :

1.7.2. رسائل في النبات:

ذكر الشرقاوي منها ما يقارب ثلاثين كتابا مثل كتاب النبات والشجر لأبي زيد الأنصاري وكتاب النبات والشجر للأصمعي وكتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري(ت282هـ)،وهي من الرسائل اللغوية المفردة التي تعنى بأسماء النباتات ووصفها وذكر أنواعها وما يتصل بها، وكان غاية أصحابها "جمع مادة نباتية مما تنبت أرض العرب (ابراهيم بن مراد،1993،ص26).فكانت"معرفتهم بالنباتات وحياتها بسيطة جدا بالنسبة إلى ما يعرفه علماء النبات في زمننا هذا، (...) وكلّ ما عرفوه وكانوا يشاهدونه في شكل النبات الخارجي، وتجارب بسيطة كانوا يجربونها في حياته وفي خواصه، وكثيرا ما كان يختلط عليهم الصحيح بغير الصحيح، أما أعيان النبات التي لم يعرفوها فهي آلاف مؤلفة لم تعرف إلا بعد كشف أمريكا. (مصطفى الشهابي،1995،ص31).

2.7.2. رسائل في البلدان والأمكنة :

اهتم اللغويون القدماء بتحديد البقاع والبلدان والأمكنة الواردة في شعر الجاهلية وصدر الإسلام وأحاديث النّبي صل"ى الله عليه وسلّم،"فألّفوا أوّل الأمر في جغرافيتها ثم توسع العمل في ذلك فكان لهذا الموضوع المعاجم الخاصة"، (زكي رياض قاسم،1987،ص194).وأقدم من روي له هذا النوع "من التأليف هو أبو محرز خلف بن حيان الأحمر(ت180هـ)، فقد قيل أنه ألف كتابا بعنوان "جبال العرب وما قيل فيها من الشعر"، (ابن النديم،دت،ج1،ص50) وينافسه في القدم أبو الوزير عمر بن مطرف(ت186هـ)،فقد نسب إليه كتاب "منازل العرب وحدودها وأين كانت محله كل قوم وإلى أين انتقل منها"، (ابن النديم،دت،ص127).

كما عرفت رسائل كثيرة في اختصاصات علمية وفنية في مجالات أخرى كعلم الأصوات مع رسالة "أسباب حدوث الحروف "لابن سينا والرسائل الطبية وفي التصوف والفلسفة والحكمة وغيرها من العلوم العربية الأصيلة والناتجة عن الاحتكاك بالحضارات المجاورة.

3. خاتمة :

بعد دراستنا لنماذج مختلفة من الرسائل اللغوية يمكننا إجمال أهم نتائج هذه الدراسة فيما يلي :

1- بدأ التأليف في الرسائل اللغوية أول ما بدأ في غريب القرآن وغريب الحديث وغريب اللغة أيضا .

2- إن مصطلح "غريب" في المجالات المختلفة (قرآن، حديث، لغة) كان يحمل في معناه ما ليس مفهوما وواضحا (الدلالة الغامضة) لأن الغرابة نسبية.

3– تمثل الرسائل اللغوية مرحلة الجمع الحقيقية –مع وجود عملية الجمع العشوائي–، والأولى للمادة اللغوية التي تم تنظيمها وتبويبها وترتيبها في المعاجم فيما بعد .

4– إن الرسائل اللغوية المفردة لا تعتبر مرحلة أولى للمعاجم العربية ثم توقف التأليف فيها، بل ظلت مستمرة حتى بعد نضج المعاجم مع الخليل ومن جاء بعده ، وهي تختلف فيما بينها من حيث الشمول ،حتى قاربت المعاجم العامة، مثل النهاية في غريب الحديث لابن الأثير والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني، وكتاب النبات للدينوري وغيرها.

5– لم يختلف مؤلفو الرسائل اللغوية كثيرا في موضوعاتهم والتي كانت مأخوذة من بيئة واحدة هي بيئة شبه الجزيرة العربية.

6– لا نستطيع أن نطلق على الرسائل اللغوية مصطلح معجم لعدة أسباب منها اختلاف هدف الرسائل اللغوية عن المعاجم فالأولى مقتصرة والثانية شاملة وكذا اختلاف منهج الرسائل اللغوية عن المعاجم فالأولى لا منهج لها سوى الجمع والضم والثانية عرفت عدة مناهج وتطورت مع مرور السنوات.

7– تتداخل عناوين الرسائل اللغوية بين اختصاصات مختلفة أولها علوم القرآن، علوم الحديث، علوم اللغة (صوت، صرف، نحو)، علوم الحيوانات والنباتات وغيرها. بيان اهتمام علماء العربية بمختلف موضوعات الحياة من لغوية وغير لغوية، ولكن الاهتمام كان لغويا في الغالب.

8– تمثل الرسائل اللغوية ما يمكن أن يطلق عليه معاجم الحقل الدلالي.

9 – تمثل مادة الرسائل اللغوية الأرضية والمخزون والرصيد الذي اعتمده أصحاب المعاجم المختلفة على اختلاف أنواعها.

6. قائمة المراجع:

1– أمين أحمد ،2005، ضحى الإسلام ،ج2، ط1،دار الكتاب العربي،بيروت .

2– أحمد محمد قدور، 2003، مدخل إلى فقه اللغة العربية،ط2، دار الفكر،سورية .

3–الشرقاوي أحمد إقبال،1993، معجم المعاجم (تعريف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربية التراثية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2 (مزيدة ومنقحة).

4– بن مراد إبراهيم ،1993، المعجم العلمي العربي المختص، حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري،ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت .

5- ابن جني أبو الفتح عثمان،1985، سر صناعة الإعراب،ج1،ط1، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق .

6- ابن الجزري، أبو الحسن محمد بن محمد الحافظ،دت،النشر في القراءات العشر،ج1، دار الكتاب العربي،دت، دط.

7- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، دت، الإتقان في علوم القرآن،ج1عالم الكتب ،بيروت .

8-نصار حسين، المعجم العربي نشأته وتطوره، ،1998، ج1،ط4، دار مصر للطباعة، مصر .

9-عبد المشهداني حسين زين الدين،1980، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث،ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت .

10-قاسم زكي رياض،1987، المعجم العربي ،بحوث في المادة والمنهج والتطبيق ،ط1،دار المعرفة ،بيروت .

11- بحيرى سعيد حسن ،2000، المدخل إلى مصادر اللغة العربية، ط1،مؤسسة المختار، القاهرة .

12-أحمد عبد السميع محمد،1969، المعاجم العربية، دراسة تحليلية، الكتاب الأول ،دط،دار الكتب الظاهرية، دمشق .

13-وافي علي عبد الواحد،1997، فقه اللغة،ط1، نهضة مصر، مصر .

14- آل ياسين محمد حسين ، 2005، الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت .

15- الشهابي مصطفى ،1995، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث،ط3، دار صادر،بيروت.

16- ابن النديم، الفهرست،دت، تحقيق محمد عوني عبد الرؤوف، إيمان السعيد جلال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

المقالات:

17- بوبو مسعود، 1999،معاجم الأبنية،التراث العربي،(مجلة فصلية)،ع77،اتحاد الكتاب العرب، دمشق .